

سيكولوجية الأخلاق ودورها في صناعة الانتصار من خلال النثر الأيوبي: (توقيعات صلاح الدين الأيوبي أنموذجا)

The psychology of ethics and its role in creating victory through the Ayyubid prose: (the signatures of SalahuddinAyubi as a model)

دير بن حرز الله*

صالح مرحباوي*

تاريخ النشر: 2023/12/31	تاريخ القبول: 2023/09/09	تاريخ الإرسال: 2022/12/30
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يهدف الباحث من هذه الدراسة إلى التحقيق في إشكالية هل يمكن للتوقيعات الأيوبية في صورة توقيعات صلاح الدين الأيوبي الثلاثة -على قلتها- أن تستوعب مسيرة سيكولوجيا الأخلاق -التي كانت سببا للنصر- من مجرد مشاعر كامنة استهلكتها شعارات التنظير إلى مقاربات فعلية تدور في محيط الواقع والتأكيد؟، تكمن أهمية هذه الدراسة في منحيين أساسيين: أولهما هو أن مادتها تنطلق من مدونة التوقيعات الخاصة بصلاح الدين، وهذه سابقة هي الأولى من نوعها- في حدود اطلاعنا- وثانيهما هو مقارنة الممارسة التطبيقية لمسمى علم الأخلاق في حدود الشواهد الواضحة كمنظومة الأخلاق الفاضلة لصلاح الدين الأيوبي.

الكلمات المفتاحية: سيكولوجيا؛ التوقيعات؛ علم الأخلاق؛ الأخلاق؛ صلاح الدين الأيوبي.

*جامعة: الحاج لخضر باتنة1 (الجزائر)، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة،

dir.benharzallah@univ-batna.dz

*جامعة: الحاج لخضر باتنة1 (الجزائر)، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة،

salahmerahba@gmail.com

Abstract:

This study aims to answer the problem of whether can the three signatures of Salah al-Din al-Ayyubi understand the course of the psychology of morals from the underlying feelings to the ocean of reality and confirmation? The importance of this study lies in two main aspects the first is that it deals with a literary product specific to Salah al-Din, which is his signatures The second is the applied practice of the deontology With clear models, such as the ethics system of the leader Salah al-Din al-Ayyubi.

Key words:psychologie; signatures; deontology; Ethics ;Salah al-Din al-Ayyubi.

المؤلف المرسّل: دير بن حرز الله dir.benharzallah@univ-batna.dz

*** **

1. مقدمة:

منذ أن بدأ صلاح الدين حربه ضد الصليبيين والرواية التاريخية-كعاداتها- ترصد لنا حركاته ومواقفه البطولية، واستطاعت إلى حد بعيد أن تعمل عمل الصحافة والإعلام اليوم، وأن تسير وتيرة تلك الأحداث المتسارعة في عهده، بشيء من التحكم والاستفاضة، ولا أدل على ذلك من تلك الأقلام التي ما برحت تكتب عنه وعن تاريخه سواء في مصنفات مستقلة ضمن ما يعرف بالسير والتراجم، أو في فصول وأبواب مُضمّنة في أمّات الكتب والمصادر، بل إنّ صلاح الدين استطاع بمآثره وأخلاقه الفاضلة، أن يخرج من حدود القومية الضيقة، إلى رحاب الإنسانية الواسعة، فما سطره وكتبه الغرب عنه في روايات وملاحم ومباحث، لا يقل شأنًا عما دوّنته ورصدته – له- الدراسات الإسلامية الشرقية، والغريب في الأمر أن جل هذه الدراسات مهما كان طابع التناول فيها، ومهما كانت غاية البحث منها، إلا وتطرقت للجانب الروحي والإنساني لديه، في صورة تحكي مدى تمايز هذا البعد الأخلاقي وسلطانه على القلوب.

ولعل ما يتفق عليه النقاد أنّ معظم الكتابات التي تطرقت لحكاية الانتصارات التي حققها الناصر صلاح الدين، إنما سلكت سبيل دراستها والبحث فيها من قبيل

العوامل البيئية أو الموضوعية، ونادرا ما تختلس من الجوانب الذاتية، أو النفسية، وعليه حينما نعلم أنَّ الناصر صلاح الدين الأيوبي قد ترك رصيда ضئيلا من المنتج الأدبي مُمثلا في ثلاث توقيعات أدبية، فهذا يجزنا -بمقتضى الحال- إلى إشكالية مؤداها ما مدى استيعاب هذا الجنس الأدبي "الذاتي" للأبعاد النفسية بين السلوك الأخلاقي كوسيلة و ظاهرة الانتصار كنتيجة؟

هذا وقد سعى الباحث في دراسته -هذه- إلى التركيز الكبير على عنصر التفرد والتميز فيها، ألا وهو كون مادتها تختص بالقائد صلاح الدين الأيوبي في صورة منتج الأدبي الممثل في توقيعاته، ومن جهة أخرى فهي تهدف إلى مقاربة الجانب التطبيقي لمسعى علم الأخلاق، وذلك في بيئة خصبة ثرية لطالما أغفلها المختصون في هذا العلم، وهي منظومة الأخلاق الفاضلة للناصر صلاح الدين الأيوبي، ثم لربما امتعض بعض النقاد كثيرا عندما يعلمون أن ما تركه صلاح الدين من إنتاج أدبي -في هذا الباب- لا يتعدى الثلاثة توقيعات، وأن قانون الدراسة لمثل هكذا عيّنات لابدّ له من عتبة ونصاب، وهذا الاستدراك منهم يجزنا بالضرورة إلى الكلام عن منهج التعاطي والتناول لهذا البحث، وعن طريقة التعامل في مثل هكذا دراسات، فأما المنهج فهو المنهج التحليلي النفسي، والذي يركز في الأساس على تحليل النص في محيط دائرة المشاعر والأحاسيس، وهذا وإن قلّ مورده في المدونة التوقيعية لقلتها وندرتها-كما أشرنا إليه آنفا-، فهو يتدفق ثجاجا وكثافة في شخصية صلاح الدين، فما عليك إلا أن تستنطق الألفاظ وتسعى في إثارتها والنفخ فيها، حتى تنفتح لك على أسرار من المشاعر والأحاسيس، وألوان من الأعماق والدلالات، ضمن محمولات نفسية، واجتماعية، وأخرى زمنية، لأننا ندرك إدراكا جازما أن صلاح الدين ما كان له أن يمارس عملا أو يكتب كتابا -فيه مرضاة رب العالمين- إلا وهو يغوص فيه بأبعادٍ إيمانية ووشائج وجدانية.

2. الإطار المفاهيمي:

1.2 السيكولوجيا:

عندما نتكلم عن السيكولوجيا فإننا بإزاء المصطلحات الجامعة التي هي نقاط ارتكاز، ومحطّات الوعي المسئولة عن فهم الإطار العام للظواهر والأحداث، سواء من حيث المسببات أو الخصائص والمميزات أو المخارج أو التفرّعات... وهي في الغالب تنزع إلى جهات الرمز والإيحاء، لأنها تتعلق بالنفس ومكوناتها وبواعثها الوجدانية وأسرارها، ولذلك جاء تعريفها ابتداءً في حدود علم النفس أن "سايكولوجيا" أو سايكولوجي (باللغة الانجليزية) psychology، أو علم النفس «هو العلم الذي يدرس الوظائف العقلية، والسلوك»¹.

2.2 الأخلاق:

تعد الأخلاق منظومة سلوكية من شأنها أن تحدد البعد القيمي للأفراد والمجتمعات، وقد اهتمت الأمم والشعوب على مرّ العصور والأزمنة بهذا المعيار الاجتماعي وأولته منها العناية والتركيز، وهذا الذي صرح به طه عبد الرحمن من "أنها عناصر سلوكية كلية مبثوثة في الثقافات بثا، تهدي إليها كل منها على حدة من تلقاء ذاتها، وإن ألبستها لباسا خاصا ونحت بها منحى متفردا"².

هذا ولما كان الحديث عن ما تعلق من منتج أدبي للناصر صلاح الدين في صورة توقيعاته، وذلك من منطلق الدراسة السيكولوجية، فقد بات من الضروري بمكان، ومن التمرکز ببيان، أن نرفع سقف منسوبة الفعل الأخلاقي من محيط تلك السلوكيات و الممارسات والأخلاق الظاهرة علنا كأعمال الجوارح، إلى حدود التنظير والاستشراف التي من شأنها أن تبحث في ظاهرة الأخلاق فتُنصِفها وتُصنّفها، وهذا الذي لا يتأتّى إلا في مسعى ما يعرف بعلم الأخلاق.

3.2 التوقيع لغة:

وقّع/ وقّع على يوقّع، توقيعا، فهو موقّع، والمفعول موقّع³ وهو مأخوذ من توقيع الدّبر ظهر الدابة ظهر البعير⁴ وجاء عن ابن منظور أن "التوقيع: سخجٌ في ظهر

الدابة... والتوقيع: الدبر. وبغير مَوْقَع الظهر: به آثار الدبر⁵، وعليه فإن مدلول كلمة التوقيع إنما تأتي بمعنى التأثير والفصل في القضايا، ولذلك أنت تقول: "وَقَع العقوبة على المذنب: أوقعها، فرضها، أوجبها، حكم بها"⁶.

4.2 التوقيعات اصطلاحاً:

ذكر "جورجي زيدان" في معرض حديثه عن تاريخ الأدب أنَّ التوقيعات: "هي ما كان يوقعه الخلفاء على ما يرفع إليهم من القصص بما يشبه (التأشير) في دواوين هذه الأيام، وكانوا يتفننون في التوقيع تفنناً بديعاً ويغلب أن يجعلوا أجوبتهم آيات من القرآن، أو جملاً من الحديث، أو أشعاراً مشهورة"⁷، وعلى هذا السياق جاء التعريف الآخر الذي دَوَّنَه أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي، وهو أنَّ التوقيعات هي "ما يعلقه الخليفة أو الأمير أو الوزير أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال. وميزتها الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة. وقد تكون آية أو مثلاً أو بيت شعر."⁸ وإلى هذا التعريف الاصطلاحي اطمئن الكثير من الباحثين، ومع أنهم اختلفوا في صيغ التعبير فيه، إلا أنَّهم اتفقوا على أركانه من حيث الوصف أولاً، باعتباره فنّاً أدبياً، يقوم على الكتابة ووجود الكاتب والذي في معظم الأحوال يكون صاحب مسئولية، وثانياً من حيث ذكر الخصائص التي تتعلق بمتن التوقيع كالإيجاز والبلاغة، والدقّة، وعادة ما تكون مُوشحة بنصٍّ من القرآن، أو حديثٍ نبوي، أو بيتٍ من الشعر.

3 البعد الأخلاقي في انتصارات صلاح الدين من خلال توقيعاته:

من المعلوم بالضرورة أنَّ العصر الأيوبي تقاطعت في أثناء فترته الكثير من الخصائص والمُميزات، وحسبه ميزة واحدة أنَّه العصر الوحيد الذي أعاد للأمة الإسلامية هيبتها وظهورها، بعدما كاد يرقى ويضمحل، هذا وقد كان لصلاح الدين الأيوبي دوره البارز في محورية التفاعل بين ثنائية القطيعة والتجديد، فكما أنه سعى إلى قطع كل سبيلٍ من شأنها أن تُقنن ظاهرة (تبعية المسلمين للصليبيين)، فقد عمد-من جهة أخرى- إلى تجديد العهد مع شعبية الجهاد والفتوحات التي كان عليها الرعيل الأول، ولما كانت الحال كذلك، كان لابد لنا من الربط بين ما حققه الناصر صلاح الدين من انتصارات وبطولات، وبين ما تميز به -رحمه الله- من أخلاق فاضلة شهد له بها الأعداء،

حتى نقف على المعيار الحقيقي الذي يضبط لنا عمق الممارسة الأخلاقية، وعليه فإن أصدق وثيقة يمكنها أن ترصد لنا هذا التوائم بين الانتصار والأخلاق، هو ما كان من تراثٍ ماديٍّ تركه الناصر صلاح الدين نفسه، ألا وهو توقعاته الثلاثة -رحمه الله-.

1.3 التوقيع الأول:

(من ضاع مثلي من يديه *** فليت شعري ما استفاد)⁹.

ومناسبة هذا التوقيع أنّ عماد الدين زنكي الثاني (ابن نور الدين)، وهو أحد القادة العسكريين في جيش صلاح الدين أيام حصار عكا، أرسل إليه كتابا يستأذن فيه بالعودة إلى الديار مع جيشه، وكان قد ألح عليه كثيرا بهذا الطلب، وكان صلاح الدين يناوره في ذلك ويتماطل عليه رجاء أن يتحقق لهم النصر ويفتحون عكا، فلما آيس من ذلك فما كان منه رحمه الله تعالى إلا أن وقّع في آخر الكتاب بهذا التوقيع¹⁰، وإنّ المتأمل في هذا التوقيع ليستشف منه خصالا حميدة لطالما لازمها قائدنا طول حياته فكانت منبع الهام، ومصدر قوة وإيمان، وسندرجها كالآتي:

1.1.3 الثقة في النفس المبنية على حسن الظن بالله: وذلك في قوله (من ضاع مثلي) فأصل الضياع من ضاع يضيع ضيعا ويكسر وضيعه وضياعا (بالفتح) هَلَكَ وَتَلَفَ¹¹، وهاهنا نلمس مدى اعتزازه -رحمه الله- بنفسٍ طيبةٍ كريمةٍ، أثرت نعيم الآخرة على حطام الدنيا، فعبدت ربها وأدّت نسكها، فكان منها ما كان من الانتصارات والفتوحات، ثم إنّ ثقته في نفسه -هذه- لم تكن وليدة الصدفة، ولا موهبة من عدم، بل هي نتاج حُسن ظنِّه بربِّه، وكثرة اللجوء إليه، فأكثر ما يرفع ثقتك بنفسك هو علاقتك بالله وحسن الظن به، والسلطان صلاح الدين كان على شيءٍ كبير من الاعتصام بالله وحُسن الظن به، وقد رصد لنا ابن شداد ذلك قائلا: "وكان - قدس الله روحه - حَسَنَ الظن بالله، كثير الاعتماد عليه، عظيم الإنابة إليه¹²، ولما كان نور الدين زنكي يعلم هذه الصفة فيه، كان لا يدّخر جهدا في أن لا يضيع هذا الأنموذج من يديه، ولذلك حرص عليه وفضّله على كثيرٍ من جنده وعسكره بالقيادة، بل إنّه كلّفه بمهمة الولاية على مصر، وقد أقرَّ صلاح الدين بذلك في الرسالة التي بعث بها لأمرء دمشق الذين حاولوا استغلال وفاة نور الدين والسيطرة على ابنه الصغير، في محاولة منهم لفصل الشام

عن مصر، حيث كتب لهم: (لو أنّ نور الدين يعلم أن فيكم من يقوم مقامي، أو يثق به مثل ثقته بي، لسلم إليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته...وأراكم قد تفردتم بمولاي وابن مولاي...)13.

2.1.3 التواضع ونبذ العجب والكبر: قوله (مثلي) فيه إشارة إلى صرفه سجية التميز عنه، و إجازتها إلى غيره، فقد يوجد في عهده من يضاهيه فيها، ولذلك لم يقل (من ضيعني) وإلا أخرج بذلك صفة المشاركة وخلع على نفسه مسحة التفرد والوحدانية، وهي مراتع للكبر وغياهب للعجب، ولا أدلّ على تواضعه رحمه الله، أنه كتب كتابا لابن نور الدين زنكي الملك الصالح إسماعيل -الذي وُلِّيَ الشام وهو صغير- يشرح له فيه سبب قدومه إلى الشام، وأنه ما سعى لذلك إلا لخدمته وتوحيد الصفوف، وقد أودع هذا الكتاب صيغَ التواضع، وعبارات الطاعة، كما وصف سبط ابن الجوزي حال الناصر صلاح الدين- في هذا الكتاب- بأنّه كان: (يتواضع له فيه ويخاطبه بمولانا وابن مولانا)14، وليس هذا فحسب، بل لما عرض ابن نور الدين على حاشيته هذا الكتاب، ليأخذ رأيهم في رد الجواب لصلاح الدين، فما كان منهم إلا أن أعملوا الغلظة والشدة في الجواب، ونسبوه -أي صلاح الدين- بأنّه ناكِرٌ للمعروف، كافرٌ بالنعمة، جاحدٌ لما كان قد أولاه نور الدين من الإحسان والفضل، بل فوق ذلك هُدُودُه، و أوعده، (فساء ذلك صلاح الدين وأغضى على القذى وكظم غيظه)15.

3.1.3 الوفاء بالعهود وتنفيذ المواثيق: فقلوه (من يديه) فيه إشارة إلى المواثيق والعهود، وهو أسلوب درجت عليه لغة العرب، ويُعنى به الالتزام بالعهود، وتحقيق البيعة، جاء عن الطيبي: (وَضَعُ الْيَدِ كِنَايَةً عَنِ الْعَهْدِ وَإِنْشَاءُ الْبَيْعَةِ لِجَزِي الْعَادَةِ بِوَضْعِ الْيَدِ عَلَى الْيَدِ خَالَ الْمُعَاهَدَةِ)16 والتاريخ يُثبت ويشهد أنّ صلاح الدين كان صاحب كلمة وميثاق، ورجل عهد وأمان ووفاء، وهذا قد عهده عنه القاضي والداني، والعجيب أنّ الصليبيين أنفسهم كان لهم الحظ الوافر من ذلك، فكان رحمه الله(مضرب المثل في الوفاء والعهد، وكان إذا عقد الصلح التزم به، وإذا عاهد وفى بعهده)17.

هذا وقد جاء في حديث النبي ﷺ: "من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"18، وهذا كناية عن جريمة

الخروج على الحكام والأمراء المسلمين، لما فيها من المفاصد والعواقب الوخيمة، وعليه فمفهوم المخالفة هو أن الذي لا يخلع يدا من طاعة فهو صاحب الحق الذي ينأى بنفسه عن هذه الانزلاقات الخطيرة، وهو الذي تعبد الله بهدي النبي ﷺ، وبالتالي فقد فاز بالغفران ورضا الرحمن، فلاحظ كيف أن مشروعا كهذا فيه الأمن والسلام والاستقرار، ووسيلته تقتضي الحفاظ على العهود والمواثيق، عبّر عنه ﷺ بلفظة "اليد" وهو الذي أوتي جوامع الكلم.

4.1.3 استراتيجية الهدف والغاية: ففي قوله: (ما استفاد) فأصل الفائدة "ما استفدت من علم ومال"¹⁹، وكلها ممّا يُعاد على المرء بالبشرى والخير، وشطرٌ منها هو طموحٌ دنيويٌّ، سبيله إلى الزوال والاندثار، أمّا الفائدة الحقيقية التي قصدها صلاح الدين فهي إحدى الحسنين، وهي تكمن في هدفه وغايته في هذه الحياة الدنيا، وهي إما نصرٌ أو شهادة في سبيل الله، وهذا أمر يختلج في نفسه الأبية، ويخامرها صباحا وعشيا، وقد ذكر ابن شداد أنه كان يلزم الناصر صلاح الدين في خرجته التفقدية على ساحل عكا - بعدما وصف هيجان البحر وأنه كان حديث عهد برؤيته حتى عظم أمره عنده- فقال: "...حتى خيل لي لو قال لي: إن جزت في البحر ميلا واحدا ملكتك الدنيا لما كنت أفعل... هذا كله خطري لعظم الهول الذي شاهدته من حركة البحر"²⁰ فهذا الذي راع ابن شداد وهو من هو في الجهاد، والشجاعة، والإقدام!!، فبينما كان كذلك يستشعر هذا الخوف ويحتمه حجاجا نفسيا، فما كان من صلاح الدين إلا أن أسرّله قائلا: "أما أحكي لك شيئا في نفسي أنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائره، واتبعهم فيها، حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت"²¹.

5.1.3 الحكمة والتحلي بالصبر للحفاظ على الوحدة والتماسك: إنَّ السياق العام الذي جاء على منواله هذا التوقيع، سواء من حيث مناسبته التي ترصد لنا مظاهر التردد والانتكاس في محيط الجيش الإسلامي -الذي طالبت مدة حصاره لعكا- حتى اضطربت همم القوم بين الانسحاب أو القتال تحت طائلة التدمير والإكراه، أو من حيث بنية التوقيع اللغوية التي ارتكزت على قاعدة من التمني في قوله (فليت شعري)،

مؤسسة بذلك أنماطا مختلفة لمعاني الحسرة والامتعاض لدى الناصر صلاح الدين، على ما لاقى من خذلان وعدم جاهزية في أوساط معسكره، ولك أن تتصور كيف كان صلاح الدين يركز ويهتم بأحوال خصومه الصليبيين؛ ويتتبع أخبارهم وهو يخطط ليلا ونهارا؛ في صورة تعكس درجة التأهب القصوى، واحتقان دواعي الاستنفار، ومدى حجم الخطر الخارجي، ثم ينبري لك -في صفوفك- من يثير ظاهرة التولي يوم الزحف، أو يبعث على إيقاظ الهزائم النفسية والمعنوية بمثل هكذا تصرفات، فكيف ستقابله وأنت القائد العام للجيش؟

هذا وقد كان ينبغي للسلطان صلاح الدين أن يشتت غضبا، ويُري زيدا، ويؤنب أصحابه ويغلظ عليهم، وكل ذلك من منطلقات عقلية، ونظريات عسكرية، تطلبها حاجة الاجتماع والتماسك في الجيش، ويستدعيها مقام الثبات والاستقرار له، إلا أنه -رحمه الله- ما زاد عن قوله (ما استفاد)، ثم إنَّ المتتبع لمحطات الاختلاف بين صلاح الدين وقياداته العسكرية -خاصة عندما يتعلق الأمر بمواقف الحسم- سيلحظ ومُضًا من هذه المظاهر المترددة المتردية منهم والتي تنزع -في أغلبها- إلى التواني والفتور²²، وهذا ليس منهم ضُعبًا ودُلاً -رحمهم الله تعالى- وإنما يعود في أصله إلى عزيمة صلاح الدين المتقدمة، وعلو همته، واتساع أفقه، ومع هذا كله استطاع أن يحافظ على رزاقته وحكمته، وأن يراعي مصلحة الجيش، حفاظا على جمع الصفوف، وتوحيد الكلمة.

2.3 التوقيع الثاني:

(على خيرة الله تعالى، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما)²³.

هذا توقيع وقَّعه صلاح الدين على كتاب أرسله له القاضي الفاضل، يستأذنه²⁴ فيه بالذهاب لتأدية مناسك الحج، فما كان منه -رحمه الله- إلا أن رَحَّب بهذه الفكرة، وهو الذي كان ينتظر فرصة مواتية حتى يتسن له فيها مرافقة وزيره للحج. ومن بين الأخلاق الفاضلة التي يمكن استنطاقها في ثنايا هذا التوقيع هي:

1.2.3 حب الخير للناس أجمعين: قال صلاح الدين: (على خيرة الله) وخار الله لك في الأمر: جعل لك فيه الخير²⁵، وهذا مقام حُبِّه الخير للناس، وخاصة حاشيته ورواد

مجلسه من وزراء ومستشارين، وحبُّ الخير للناس دليل على صفاء السيرة وسلامة الصدر، وهو من الأخلاق الفاضلة، ولا تكاد تجد علماً من أعلام البطولة والشهرة في مدونة التاريخ، ممَّن عُرفوا بسيرهم الإنسانية، إلا وقد أخذ من ذلك بحظٍّ وافرٍ، وبقدر هذا الحظ، بقدر ما يكون الظهور والقبول لدى الناس، وممَّا ميَّز صلاح الدين ورفع قدره وذكَّره بين الناس، أنَّ هذا الخُلُق منه-رحمه الله- لم يقتصر في توظيفه للمسلمين فقط، بل تجاوز إلى الصليبيين أنفسهم فهو يريد لهم الهداية، ويسعى إلى أن يكون مصيرهم الجنة، ويشفق عليهم أن يكون مآلهم إلى النار، والدليل على ذلك أنَّ سفْكه للدماء كان عَرَضاً فقط، ولم يكن مقصوداً في ذاته، وأنَّه إنَّما أعمل فيهم السيف والقتل إلا في طغاتهم المعاندين والظَّلمة المفسدين، الذين عاثوا في الأرض فساداً، وانظر إلى قصة فتح بيت المقدس، وكيف كان تعامله مع الأسرى، وزوجات وبنات الصليبيين، فقد كان معهم شهماً نبيلاً ذا مروءة وفروسية²⁶، وقد كان يحرص كل الحرص أن تكون صورة الإسلام عندهم واضحة جلية.

2.2.3 إيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة: ففي قوله (يا ليتني كنت معكم) نجد أنَّ السلطان بين عاطفتين خصَّهما - من عنده - إخلاصاً وصدقاً على طول امتداد مسيرته، فواحدة تتعلق بحزمه وصرامته والتزامه بمهمة الجهاد وإعلاء كلمة الله، وأخرى خامرته في شغاف القلب وحنايا الوجدان، تلك التي تعلق بمناسك الحج وزيارة بيت الله الحرام، فقد كان كثير العبادة "شديد المواظبة على الصلاة في الجماعة...مواظباً على أداء السنن...محبا لسماع القرآن"²⁷، وقد تلاحظ هذا التجاذب المحتدم بين هاتين العبادتين، فكلُّ من الجهاد والحج شعيرتين جليلتين، فقلوه (ياليتني) ف "ليت" أفادت معنى التمني²⁸، فهو يتمنى تأدية مناسك الحج خاصة مع رفيق دربه القاضي الفاضل، بل يهيم في ذلك أشد الهيام، وقرينة هذا أنه أردف "ليت" بحرف النداء "يا" -وكان يجوز في حقه أن يقتصر عليها من دونه- هذا وقد مدَّه في الهواء مدّاً بصورة تعكس مدى تعلقه بهذه العبادة التي مات ولم يؤدها²⁹، ومع ذلك فالناصر صلاح الدين قدَّر بين هاتين العبادتين ورأى أن تأدية مناسك الحج فيها الفائدة التي تخصُّه هو، في حين أن الرباط على ثغور المسلمين فيها الخير الذي يتعداه لغيره، وعليه فقد أثر مصالح

المسلمين في سدّ ثغورهم والحفاظ على أمنهم واستقرارهم، على مصالحه الشخصية التي وإن بادرها وأدّاها فهو حقّ مشروع له.

3.2.3 الإيمان والعقيدة الراسخة: لاحظ قول صلاح الدين (فأفوز فوزا عظيما) يُعصد إلى درجة كبيرة ما جاء في قوله في التوقيع الأول (ما استفاد)، فلما كان الأمر يتعلق بعبادة من العبادات كمناسك الحج كان الفوز عظيما، وهاهنا إشارة إلى الجبهات التي تعكس بحق مواطن الفوز ومظانّ النجاح، وهي المصالح الدينية الشرعية، وكل ما تعلق بالآخرة، فصالح الدين كان يستطيع أن يبني لنفسه قصرًا في القاهرة أو في دمشق أو حتى في الحجاز، ولكنه أوى إلى خيمة تعصف بها الريح يمينا وشمالا، وكان في وسعه –أيضا- أن يُناور مع الصليبيين فيصيب حظًا وفيرا من الدنيا، بل إنّه -رحمه الله- ما أجاز أهل بيته على مناصب الحكم والإمارة إلا ليحيي ظهره، ويُعزز الجبهة الداخلية، والدليل على ذلك أنه كان يشترط منهم الكفاءة وحسن السيرة (حتى أنه عزل ابنه الملك الظاهر غازي عن إمارة حلب...حينما استدعت مصلحة الدولة ذلك)³⁰، كما كان لا يدّخر جهدا في أن يُقدّمهم في ساحات المعارك، وجبهات القتال.

فالإيمان الصحيح والعقيدة الراسخة يُضيفان على أعمال المرء شيئا من المصادقية والقبول، ولذلك كثيرا ما قرنه الله سبحانه وتعالى مع الأعمال الصالحة، حيث يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾³¹، كما أنّ النبي ﷺ كان يحضُّ أهل الإيمان على الأعمال الصالحة فمرة يقول³²: "من كان يؤمن بالله فلا يؤذي جاره"، ومرة "من كان يؤمن بالله فليقل خيرا أو ليسكت"...وهكذا، ولما كانت عقيدة المسلمين ترتكز أساسا على إثارة الآخرة على الدنيا، كان لهم بذلك قطع كل سبيلٍ مُفضية للصراعات والنزاعات، إذ أنّ: (حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة)³³، ومن ثمّ أضحّت مسائل الدين هي المنوطة بالتنافس والتسابق.

4.2.3 التواضع والحلم والزهد: إنّ السياق العام الذي جاء فيه هذا التوقيع، ليعكس بحق تلك الصفات الحميدة لهاته الشخصية الفدّة، فهي تتباين بين التواضع والحلم والزهد، فإنّ ما جرت عليه العادة من وُلاة الأمر، وذوي السلطان أن يُعقبوا على كل رسالةٍ أو كتابٍ يحمل طابع الطلب أو الاستئذان على الأقل بشيء من الاعتلاك و اللوك-

مستحضرين في ذلك مكانتهم التي يفوح منها الاغترار بالمناصب- هذا في الضروري من المصالح والحاجات التي يُستأذن لها، فما بالك بفريضة الحج التي تحمل معاني الزيارة³⁴ والسياحة، وفي ظلّ أوضاع تعالج نوعاً من القلق والانتباه، فكان الأولى لصالح الدين أن يرفض هذا بشدة، ولسان حاله كيف لكم أن تتركونا في ظروف كهذه والعدو يتربص بنا الدوائر؟ على اعتبار أنّ القاضي الفاضل هو المستشار الأول لصالح الدين، وواحد من وزراء المؤمنين، ومع أنّ التوقيع في بنيته اللغوية يحتوي بالفاظ تفاعلية مسرورة كالتمني والفوز في قوله: (يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً) وقد نستشف منه- أيضاً- مروءة السلطان، وعدم تضجره وسخطه، إلا أنّه في الجهة المقابلة يؤسس ويكرس ثقافة الحب والتآلف والاجتماع التي سعى إليها صالح الدين في أوساط دائرة الحكم، وذلك سداً لذريعة الاختلاف والشقاق.

3.3 التوقيع الثالث:

"وقفت على رقعة القاضي الفاضل، وما نقطع لأحد [رزق]³⁵ إن شاء الله تعالى، بل هي علامات نحن مثل الغريم المنكسر، نرضى لذا بمال ذا، وعلى الجملة ما تقدمت بقطع رزق أحد، وقد علمت فيها اكتب في فيها الذي لهما ولغيرهما، إن شاء الله³⁶ مناسبة³⁷ هذا التوقيع أنّ القاضي الفاضل رحمه، بعث بكتاب للسلطان يشفع فيه لفخر الكتّاب الجويني³⁸ بأن يقطع له راتباً شهرياً يتكفّف به عن المسألة، ويعينه على نوائب الدهر، بعد أن نال منه الكبر، وأرهقه السفر، وتعطلت آلة التأليف عنده ومن يلاحظ هذا التوقيع سيجده طويلاً مُطنباً خلاف ما عليه التوقيعان السابقان من الإيجاز والقصر، إلا أنه يجاريهما في المضمون والدلالات بحيث يمكن من خلاله أن نقرأ جملة من الأخلاق التي تميز بها السلطان حتى أورثته الظهور والانتصار من بينها مثلاً:

1.3.3 الشعور بالمسؤولية المجتمعية: بدأ السلطان صالح الدين توقيعيه بجملة (وقفت على رقعة القاضي الفاضل) وهذا للتدليل على أنّه في تواصل مستمر مع إدارة الديوان لديه، اهتماماً وتبعاً لمصالح الرعية، ولاحظ أنّه لم يبدأ بهذه الجملة في التوقيعين السابقين، لأنّ الأمر كان يدور في محيط بلاطه، فالتوقيع الأول كان مُوجّهاً لقائد من قيادات عسكره، في حين أن التوقيع الثاني وجّهه لوزيره القاضي الفاضل، ولكن لما

تعلق الأمر بشؤون الرعية، كان لابدً للسلطان أن يستنفر آلة التعليل لديه، وأن يلجئ هذا الطلب، ويُنبه -فوق ذلك- على أنَّ الدولة لا تزال في خدمة الرعية، وهي إلى ذلك تسعى في حل مشاكلهم.

إنَّ روح المسؤولية والصبر على تحملها، من بين الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسئول، لاسيما قادة الأمة وحُكَّامها، ولا يمكن أن يتأتَّى خُلُقُ التحلي بروح المسؤولية من فراغ، بل هو نتاج مخاضٍ يتكئ أساسا على أخلاق أخرى، أكدها ما تعلق بمصطلح الأمانة، فقول الناصر صلاح الدين (وقفت) فهذا يعني أنَّه تَبَيَّن وفهم ما جاء من ظُلامة وشكوى في رقعة القاضي والعرب تقول (وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته)³⁹، وهذا الجُهد من إعمال الذهن والعقل بقصد الفهم والتبيين، إنما يعكس ثِقَلُ الأمانة التي كانت على عاتقه -رحمه الله- هذا من جهة، ومن جهة أخرى يُجسد نمطية الأخلاق الفاضلة التي تتعلق بمراقبة الشأن الاجتماعي في إطار الحاجة والعوز والشكوى، والتي ينبغي أن تقوم أي هذه النمطية الأخلاقية- على شيء من الاهتمام والانتباه والممارسة الفعلية المستمرة، وكيف لا يمكن لصلاح الدين أن يكتب (وقفت) ويستحضر بها كل معاني الرهبة والهيبة تجاه هذا الخطب الإداري الجلل!؟ وهو الذي كان على شيء من الورع والتقوى، ولربما سمع النبي ﷺ يقول: "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة"⁴⁰، وقد كان -رحمه الله- كما ذكر ابن شداد: "إذا مرَّ بحديث فيه عبرة رق قلبه ودمعت عينه"⁴¹

2.3.3 التحلي بالشفافية والوضوح: على وقَّع ما جاءت به رقعة القاضي الفاضل من أثرٍ في نفس صلاح الدين الأيوبي، فإنه استأنف تقريره لما يكون في إدارته من تقصير وذلك بشكل عام، حيث قال: "ما نقطع لأحد رزقا إن شاء الله تعالى"، فهذه جملة فمها نفِيٌّ لكل أساليب المكر التي تحول بين الرعية وأرزاقهم، كما يعترها نوع من الإشفاق، وهي إلى ذلك تصريحٌ يوحى برفع اللبس والشبهة عن نفسه -رحمه الله- وهذا من بين المناقب الحميدة التي تميز بها السلطان، فقد كان حريصًا متفانيًا في خدمة رعيته إلى درجة أنَّه يُبين لهم سبب التقصير تُجاههم في قوله (بل هي غَلالات) وغَلالات بضم العين "جمع العلالة: ما يُتعلل به"⁴² أي بعض ما يعترى سياسة التسيير من أعذار خارجة عن

النطاق، وإلا فلا تظنوا أن عدم وُصُول الرواتب لكم، هو قطع أرزاقكم، وهو من قبيل تسلطنا وإيثارنا للأموال عنكم، معاذ الله، فهو وحده يعلم إبتعادنا عن الدنيا وزهدنا فيها، ولذلك أردف قائلا بل (نحن مثل الغريم المنكسر) والغريم الذي له الدين والذي عليه الدين جميعاً⁴³ ففي كلا الحالتين هورهن الحاجة والعوز.

ثم إنَّ هذا (الغُرم) وهذا (الانكسار)، إنَّما وظَّفهما صلاح الدين بغرض امتصاص ما من شأنه أن يلحق الرعية من رهاب وتردد تُجاه المطالبة بحقوقهم، بل أضاف لصفة (الغرم) التي تحمل مدلولاتها جملة من معاني التَّصَبُّر والجَلَد والتحمل، والتي هي تنشأ في ظروف تلازم المشقة والعسر، على اعتبار أنَّ الغرام من الغرم وهو العذاب الشاق⁴⁴، فقد أضاف لها نوعاً من الانكسار والضعف، وكأنَّ صلاح الدين بهذا الخطاب، يعطي صورة واضحة جلية لسياسة الشفافية والوضوح في أوساط الجبهة الاجتماعية، وهو بذلك يمتد إلى رواسب الخوف والرهاب في الضفاف الأخرى في أذهان الضعفاء والمساكين المترددين، فيعمل على استئصالها، حتى تباشر الرعية مطالبتها وتمارسها من دون خوف أو توجس، فقد هيَّأهم حينما ذكر لهم أنَّ دونهم نخبة من الساسة المتميزين، الذين هم على درجة كبيرة من التحمل والصبر والالتزام بقضاياهم، وهم إلى ذلك يعترفهم الضعف والانكسار، في إشارة إلى بعث الثقة في أنفسهم، فما عليهم إلا أن يطرحوا مشاكلهم في فخر واعتزاز.

بل على النقيض تماماً- من ذلك- إذا أمعنا النظر في هذا التشبيه (مثل الغريم المنكسر)، فما بال هذا البطل الشجاع الذي تشهد له البشرية جمعاء بقوته وبسالته وإقدامه، وهو الذي استطاع أن يقف النِدَّ للنِّدِّ لجبهات ثلاثة من الجيوش الصليبية الفرنسية والانجليزية والألمانية -فما باله- يُشَبَّه نفسه بالغريم المنكسر، في أشد ما تكون حالات الضعف والوهن؟!، على اعتبار أنَّ الغُرم هو (لزوم ما يشق)⁴⁵، وجاء أيضاً بمعنى (الذل)⁴⁶، فصالح الدين أشار بذلك إلى أن أي تقصير من الحاكم تجاه رعيته، سيجعل هذا الحاكم مرهوناً بجريته هذه، وأنها-هذه الجريمة- ستلازمه وتكون شاقة عليه، وهو إلى ذلك يعالج بها نوعاً من المذلة والمسكنة، فمثله مثل الغريم المنكسر الذي تراكمت عليه الديون، فجعلته في ضيق وحر، مما ستضطره إلى اختلاق الكذب وإخلاف

الوعد، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الرجل إذا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ ووَعَدَ فَأَخْلَفَ"⁴⁷، وعليه فمتى ما جاء الفرج الذي من خلاله تُسدّد هذه الديون، فيعم الفرح والبشرى هذا الغريم المنكسر، فيحيا ويُبعث من جديد، فكَذلك حال صلاح الدين مع رعيته، فمتى ما طالبوا بحقوقهم واجتهدوا في النصح لأمرهم، فقد أزالوا عنه تلك الأغلال والسلاسل والأوزار التي أثقلت كاهله، وعليه فهو بهذا التشبيه (مثل الغريم المنكسر) يبعث على الاطمئنان في ممارسة المطالبة بالحقوق، وأنه كما ستحقق أيها الضعيف فائدة جرّاء عرضك لهذه الشكوى، فكَذلك سيحقق هذا الحاكم شيئا من تكفير الذنوب والسيئات.

3.3.3 سياسة العدل والمساواة بين الرعية: حيث يقول (نرضى لذا بما ل ذا) وإن شئت تقرأها (نرضى لذا بما ل ذا)⁴⁸ وفي الحالتين هي مدعاة للمساواة وعدم التفضيل بين الناس، ومناقب السلطان في إقامة العدل بين رعيته، وفي أوساط بلاطه، أكثر من أن تحصى أو تُعدّ في هذه الورقة، وما من مؤرخ تعرّض لسيرة السلطان صلاح الدين، إلا وذكر ما كان منه من حرص واجتهاد في إرساء سياسة العدل والمساواة بين الرعية، بل كان -رحمه الله- يلتزم إقامة العدل على نفسه ابتداءً، ولربما استوقفنا في هذا الباب قصة التاجر (عمر الخلاطي)، الذي ادّعى أنَّ أحد ممالك صلاح الدين ويدعى «سنقر» قد استولى على ما كان له من ثروة طائلة بدون وجه حقّ، وعندما تقدّم التاجر المدّعي بظلامته إلى القاضي ابن شدّاد. فما كان من صلاح الدين إلا أن ينتحل صفة الاتهام هذه، (ورضي أن يقف موقف الخصم من صاحب الدعوى، وأحضر كل من الطرفين من لديه من شهود وما لديه من أدلة يثبت بها رأيه، حتى اتضح في النهاية - عند القاضي كذب الرجل وادعاءه الباطل على صلاح الدين ومع كل هذا رفض صلاح الدين أن يترك المدعي يخرج من عنده خائباً فأمر له بخلعة ومبلغ من المال ليدل على كرمه في مواضع المؤاخاة مع القدرة)⁴⁹.

ثم إنَّ صلاح الدين لم يكتف بحل مشكل الراتب للرجلين -المنصوص عليهما في رقعة القاضي الفاضل- فقط، بل من سياسته العادلة، وحرصه على تقعيد مبدأ المساواة في أوساط رعيته، أعطى تعليمة بقوله: "وقد علّمت فيها" تقضي بالنظر في شئون

هذه الفئة من كبار السن والعجزة، ولذلك جاء في توقيعه (ولغيرهما) على اعتبار أن هذا الامتياز لا يقدمه السلطان لك فخر الكتاب الجويني وصاحبه فقط، بل هو لكل من قاسمهما حالة الكبر والعوز، ووافقهما التأهيل في ذلك. فانظر إلى مدى رحمة هذا السلطان برعيته، وإلى عمق اهتمامه بهم، فقد كان يجزئه لو تحجج بالظروف أن يمنع فخر الكتاب راتباً، بل قد كنا ننصفه لو اقتصر بهذا الراتب على فخر الكتاب دون صاحبه، بل كان يكفيه -على الأقل- جملة مؤداها (سننظر في الأمر)، أو (سنعمل على دراسة هذا الملف)...على اعتبار السياسة العامة للحكام والسلاطين في مثل هذه المواقف، والتي - في معظمها- نراها تنزع إلى التؤدة والتريث ودراسة الوضع، ولكن عندما يتعلق الأمر بالناصر صلاح الدين، فمعنى ذلك براعة الاستثناء، فهو الذي (كان يؤمن بأن العدل أحد نواميس الله في كونه)⁵⁰، وعليه فبقدر ما يأخذ منه الرؤساء من الحظ، بقدر ما ترشد سياستهم وتترك أثراً طيباً في مجتمعهم، فالعدل روح السياسة، ومعينها الذي لا ينضب، وقد أخذ منه الناصر صلاح الدين بحظ وافر.

4.3.3 مبدأ الأمان العلاقتي بين الحكومة والرعية: وقد أطنب السلطان في هذا التوقيع لأجل هذا المبدأ كثيراً، وذلك بدفع الشبهة عنه، كما جاء في العبارات التالية: (ما نقطع لأحد رزقا إن شاء الله تعالى)، (بل هي غلالات)، (نحن مثل الغريم المنكسر)، (نرضى لذا بمال ذا). ولكن لماذا أسهب السلطان في سرد هذه التعليقات؟ أما كان له أن يقتصر على الرد المباشر؟ إنَّ هذا التصرف منه -رحمه الله- لا يُدركه كثير من الناس، وغير جائز أن يعمل به مديرون على مستوى مؤسسة صغيرة، فضلاً أن يتمثلهُ قائدُ مَلِكٍ إقليمي أو دولة، ما دامت سهام الكبر والتعاضم، وبطر الحق⁵¹، تحوم في حى مناطق الظهور، ودوائر الضوء، إلا أن يكون أنموذجاً واضحاً في صدقه وإخلاصه كصلاح الدين، لأنه ببساطة يتعلق بجبهات المشاعر والأحاسيس وجبر الخواطر، فصلاح الدين بهذا الإطناب الزائد وهذه الجمل التحليلية، يبعث مبدأ الأمن والأمان العلاقتي لرعيته تجاه دولتهم، ويكرسُ لثقافة الثقة المتبادلة بينهم، وهذا سبيل العيش الآمن المستدام، وهذا الذي يفرض هامشاً من مواساة الرعية لحكومتها، في حال الأزمات والخطوب، ويرسي قاعدة صلبة متينة، وقواعد خلفية تساعد صلاح الدين في تأدية مهمة الجهاد، ولذلك حرص السلطان كل الحرص في سبيل تحقيق ذلك وتبليغه، فمع أنَّه أولى القاضي

الفاضل كل الصلاحيات في تسيير شؤون الدولة، إلا أنه كان كثير المتابعة له -إذا سنحت الفرصة- وليس هذا من باب عدم الثقة فيه، ولكن خشية وقوعه في الخطأ، أو الإخلال بشيء من الحقوق والواجبات تجاه الرعية.

4. خاتمة:

في ختام بحثنا نصل إلى النتائج التالية:

- بالرغم من قلة الإنتاج الأدبي لصالح الدين، إلا أن هذه التوقيعات الثلاثة استطاعت أن تعكس بصدق الروح الأدبية والأخلاقية في شخصية هذا البطل.
- الظاهر أن صلاح الدين لم يكن يمارس الفعل الأخلاقي في مجرد صورته البسيطة الساذجة فحسب، بل كان يتقصد فيه نوعا من بعد النظر والفنية والإتقان، ولذلك استطاع بهذا أن يعطي الفارق بين أخلاق العمق وأخلاق السطح.
- أخلاق الناصر صلاح الدين قاعدة خصبة للدراسات التطبيقية، وهوامش حجاجية لإشكالية فلسفة الأخلاق.
- التوقيعات الموجزة التي تدور في حى أخلاق العمق، فإنها بالضرورة ستأخذ من عمق هذه الأخلاق، فتكتنز وتتكاثر فيها الرموز والمعاني.
- تعامل صلاح الدين مع رعيته فيه شيء الحرص والحزم والإشفاق أكثر مما نجده في تعامله مع قياداته، وهذا نستشفه من خلال أسلوبه في التوقيع، فقد كان أسلوبا مطنبا مطولا مع الرعية، في حين كان موجزا مباشرا مع دوائر حكمه.
- وفي الأخير وفي ظل هذه النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة يمكننا أن نطرح جملة من التوصيات التي ستكون كالآتي:
- يمكن اعتبار الإنتاج الأدبي لصالح الدين الأيوبي -على قلة- نقاط ارتكاز أو محطات مركزية، ينبعث منها ذاك الزخم الهائل والتكتل الكثيف لمجموع مناقبه، وأخلاقه الفاضلة.

- بما أن هذه التوقعيات منها ما كان موجهاً للرعية، ومنها ما كان موجهاً للقيادة، فإنه يمكننا تحديد الإطار العام لأخلاقية التعامل-السياسي- معهما في ظل ما تميزت به هذه التوقعيات سواء من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون.

- التوقع الذي كان بين صلاح الدين ووزيره القاضي الفاضل أفصح على سمته وفي أدبيين، عكسته قرينة أسلوبية ممثلة في الاقتباس، وعليه فيمكن التركيز على هذه المساحة الأدبية بينهما.

- العمل على تأصيل وتفعيل خاصية الاستيعاب لدى الصناعة النثرية الأيوبية، والتي أثبتت تمكّنها من رصد الأحداث والوقائع حتى في حدود ضيقة.

*** **

5. الهوامش:

¹ جمع من الباحثين، رؤى تأصيلية في طريق الحرية من كلام الشيخ صالح الحصين، مؤسسة الوقف الإسلامي، السعودية، ط1، 2016م، ص235.

² طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، دس، ص388.

³ أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج3، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008م، ص2481.

⁴ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس الجزء22، نج مصطفى حجازي، دط، مطبعة محكمة الكويت، الكويت، 1985م، ص360.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مج8، دار صادر، دط، بيروت، دس، ص406.

⁶ أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص2481.

⁷ جورج زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي (الجزء الثالث)، مؤسسة هنداوي، دط، دب، دس، ص100.

⁸ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، دط، القاهرة، دس، ص220-221.

⁹ مصطفى محمود، النثر الفني في عهدي الدولتين الزنكية والأيوبية، مرجع سابق، ص265.

¹⁰ أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام، دار نهضة مصر، ط2، القاهرة، دس، ص309، [بتصرف]

¹¹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص761.

¹² علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 2008م، ص233.

- ¹³ ابن الأثير، عزالدين، الكامل في التاريخ، ج9، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، دط، بيروت، 2012 م، ص396.
- ¹⁴ مرآة الزمان، الجزء8، ص (327-328)، نقلا عن كتاب: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، أحمد فؤاد سيد، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2002م، ص22.
- ¹⁵ محمد كرد علي، خطط الشام، ج2، مكتبة النوري، ط3، دمشق، سوريا، 1982م، ص47.
- ¹⁶ علي بن محمد نور الدين الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج6، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان، 2002 م، ص2398.
- ¹⁷ علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، مرجع سابق، ص250.
- ¹⁸ مسلم، صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم 1851، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دارالأصالة، ط1، الجزائر، 2010م، ص453.
- ¹⁹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص332.
- ²⁰ بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مكتبة الخانجي، ط، القاهرة 2، 1994م، ص55.
- ²¹ نفس المصدر، نفس الصفحة.
- ²² قد يعتب القارئ على هؤلاء الجند والعساكر، كلما قرأ ردود أفعالهم هذه، ويعتبرها مواقف خذلان وتثبيط منهم للناصر صلاح الدين، والحقيقة أن محطة التجاذب هذه بين صلاح الدين وعسكره، إن دلت إنما تدل على ما تنطوي عليه شخصية السلطان من عزيمة متقدة، وهمة عالية، فاقت كل التصورات، وإلا فالذين كانوا معه من جند وعساكر يشهد لهم التاريخ على ما قدموا من بطولات وتضحيات، كان سبيلها تحقيق النصر على أعنى المجمعات الحربية الصليبية في القرون الوسطى، ومع ذلك فالناصر صلاح الدين لم تكن تجاربه -في همته هذه- شخصية أخرى، فهو الذي كان ينتشي الجهاد ويحيا به، وهو صاحب النفس الطويل، وخير دليل على ذلك مواقفه الشجاعة، وآراءه الصارمة المخالفة لقيادات جيشه ففي "حصار عكا" لم يكن يأبه لمدد الصليبيين الذي يزداد بين الفينة والأخرى، وفي معركة أرسوف ثبت ثباتا أعاد لجنده وعسكره الأمل، أنظر: محمد فريد أبوحديد، صلاح الدين وعصره، دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، 1927م، ص191.
- ²³ علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص480.
- ²⁴ نفس المرجع، نفس الصفحة.
- ²⁵ الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص414.
- ²⁶ محمد علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص530.
- ²⁷ أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون، مكتبة النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1991م، ص78.

- ²⁸ كمال الدين الأنباري، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، بيروت، لبنان، 1999م، ص124.
- ²⁹ محمد فريد، صلاح الدين الأيوبي وعصره، مطبعة دار الكتب الفكرية، القاهرة، 1927م، ص200.
- ³⁰ محمد علي الصلابي، صلاح الدين وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص360.
- ³¹ سورة العصر، الآية 3.
- ³² مسلم، صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم 75، مرجع سابق، ص25.
- ³³ هذا الأثر يروى عن المسيح عيسى عليه السلام، أنظر: الأصبهاني، أبو نعيم أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج6، السعادة للنشر، مصر، 1974م، ص388.
- ³⁴ المفضل بن سلمة، الفاخر في الأمثال، تح عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، ط1، دب، 1380هـ، ص34.
- ³⁵ "رزق" هكذا جاءت في الأصل وإلا فالصحيح "رزقا" لأنها مفعول به منصوب.
- ³⁶ شهاب الدين أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج4، تح إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص63.
- ³⁷ المصدر نفسه، ص62.
- ³⁸ هو أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الملقب فخر الكتاب الجويني الأصل البغدادي الكاتب المشهور: له مؤلفات عديدة، كما نسخ كتباً كثيرة، عرف بحودة الخط ونضارته، وذكره العماد الكاتب في " الخريدة " وبالع في الثناء عليه، وقال: كان من ندماء أتابك زنكي بالشام، وأقام بعده عند ولده نور الدين محمود في ظل الإكرام، ثم سافر إلى مصر في أيام ابن رزيك، وتوطن بها...وأورد له مقطع شعر كتبه إلى القاضي الفاضل، وتوفي سنة أربع وثمانين، وقيل: ست وثمانين وخمسائة، بالقاهرة، رحمه الله تعالى. أنظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، ج2، تح إحسان عباس، دار صادر، دط، بيروت، دس، ص131.
- ³⁹ ابن منظور، لسان العرب، ج9، مرجع سابق، ص360.
- ⁴⁰ مسلم، صحيحه، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم 1829(142)، مرجع سابق، ص447.
- ⁴¹ محمد علي الصلابي، صلاح الدين وجهوده، مرجع سابق، ص232.
- ⁴² إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1983م، ص609.
- ⁴³ ابن منظور، لسان العرب، ج12، مرجع سابق، ص436.
- ⁴⁴ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 1997م، ص502.
- ⁴⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ⁴⁶ زين الدين بن تاج العارفين، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، دط، القاهرة، 1990م، ص251.
- ⁴⁷ مسلم، صحيحه، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم 589، مرجع سابق، ص133.
- ⁴⁸ هكذا جاءت في بعض المخطوطات والتي فقدنا توثيقها.

⁴⁹ علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، مرجع سابق، ص235.

⁵⁰ محمد علي الصلابي، صلاح الدين وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ص234.

⁵¹ جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق6] (والمعنى: حقا إن الإنسان ليتعاضم، ويتكبر ويتمرد على الحق، لأنه رأى نفسه ذا غنى في المال والجاه والعشيرة...لأن من طبع الإنسان أن يطغى، إذا ما كثرت النعم بين يديه، إلا من عصمه الله)، أنظر تفسير سورة العلق، التفسير الوسيط، مج15، محمد سيد طنطاوي، دار المعارف، ص455.